



الدعاة الإخبارية



جريدة صوت

www.doaah.com

www.youtube.com/doaahNews1

صوت الدعاة

رئيس التحرير د/ أحمد رمضان

مدير الجريدة أ/ محمد القطاوى

13 مايو 2022م

الصانع المُنْتَقِنُ

12 شوال 1443هـ

عناصرُ الخطبة:

أولاً: الصناعةُ في القرآن والسنة

ثانياً: الصنائعُ والحرفُ في حياة الأنبياءِ والصالحين

ثالثاً: إتقان الصنائع بين الواقع والمأمول

الموضوعُ

الحمدُ لله نحمدهُ ونستعينهُ ونتوبُ إليه ونستغفرهُ ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه ونعوذُ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له وأنَّ مُحَمَّدًا عبدهُ ورسولهُ، صَلَّى اللهُ عليه وسلم. أمَّا بعدُ:

أولاً: الصناعةُ في القرآن والسنة

لقد حفلَ القرآنُ الكريمُ وسنةُ النبيِّ الأمينِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم بالعديدِ مِنَ الصنائعِ، وهذا يدلُّ على أهمية الصناعةِ في الإسلامِ، وأنَّ الإسلامَ دينُ عملٍ وجدِّ واجتهادٍ في كلِّ الأمورِ الدنيويةِ والدنيويةِ، وليسَ دينَ طقوسٍ وعباداتٍ فحسب، ومن أهمِّ الصنائعِ التي حفلَ القرآنُ الكريمُ بها:

صناعةُ السفنِ: قالَ تعالى مخاطباً نبيَّهُ نوحاً عليه السلامُ: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَقُونَ * وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ}. [هود: 37-39]، وقالَ جلَّ شأنه: {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} [القمر: 13-15]. " فاللهُ أمره أن يصنعها من خشبِ الساج، وأن يجعلَ طولها ثمانين ذراعاً و عرضها خمسين ذراعاً. وأن يُطلي باطنها وظاهرها بالقار، وأن يجعلَ لها جوجواً أزورَ يشقُّ الماء". (تفسير ابن كثير). ومن هنا أصبحت السفنُ من أكبر وسائلِ نقلِ البضائعِ العالميةِ عن طريقِ قناةِ السويس.

ومنها: الصنائعُ العسكريةُ: فقد أخبرَ اللهُ تعالى بأنَّهُ امتنَّ على عبدهِ داودَ عليه السلامُ بتعليمه مبادئِ الصناعةِ العسكريةِ، فالآنَ له الحديدُ؛ ليصنعَ منه الدروعَ التي تقي المحاربَ مِنَ الأخطارِ، فكانَ له قدمُ السبقِ في ذلك، وكانَ إذا أتمَّ صنعَ درعٍ باعها، فتصدقَ بثلاثِها، واشترى بثلاثِها ما يكفيه و عياله،

وَأَمْسَكَ الثَّلَاثَ يَتَصَدَّقُ بِهِ يَوْمًا بِيَوْمٍ إِلَى أَنْ يَعْمَلَ غَيْرَهَا. قَالَ تَعَالَى: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} [الأنبياء: 80]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَأَلَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [سبأ: 10، 11]. لِذَلِكَ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِإِعْدَادِ الْعِدَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ إِذَا اعْتَدَى عَلَى أَرْضِنَا وَمَقْدَسَاتِنَا فَقَالَ تَعَالَى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}. (الأنفال):

ومنها: صناعة الأقمشة والملابس: وكل ما يتخذ من الصوف. قَالَ تَعَالَى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}. [النحل: 80، 81].

كما حفلت السنة المطهرة بالكثير من الصنائع والحرف، ومن ذلك دبغ الجلود، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل دين ودنيا، ما شغلته دنياه عن آخرته، ولا شغلته آخرته عن دنياه، ولذلك حينما رأى شاة ميتة وكان هذا المنظر خليقًا أن يثير فيه نوازع الزهد، ولكنه أثار فيه نوازع الأمل، فالتفت إلى أصحابه وهم يتقرزون من المنظر، فقال: «هَلَّا أَخَذْتُمْ إِهَابَهَا فِدْبَعْتُمُوهُ فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ» فقالوا: إِنَّهَا مَيْتَةٌ فَقَالَ: «إِنَّمَا حَرَّمَ أَكْلَهَا». [متفق عليه]. وهكذا ضربت لنا نصوص القرآن والسنة أروع الأمثلة في الصنائع بشتى ألوانها وأنواعها .

ثانيًا: الصنائع والحرف في حياة الأنبياء والصالحين

إننا لو نظرنا إلى جميع الأنبياء نجد أن لهم دورًا بارزًا في الصنائع والحرف، فقد كان لكل واحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعًا حرفة أو صنعة يتكسب منها، " فكان آدم حراثًا وحائكًا، وكانت حواء تغزل القماش، وكان إدريس عليه السلام خياطًا وخطاطًا، وكان نوح و زكريا نجارين، وكان هود و صالح تاجرين، وكان إبراهيم بناءً، وكان داود زرادًا - أي يصنع الزرد - وهو درع من حديد يلبسه المحارب، وكان سليمان خوصًا.

وهذا خباب بن الأرت كان حدادًا، وسعد بن أبي وقاص كان يصنع النبال، والزبير بن العوام كان خياطًا، وسلمان الفارسي كان حلاقًا ومؤبرًا للنخل، وخبيرًا بفتون الحرب". (راجع فتح الباري لابن حجر). ومع أنهم دعاة حملوا مشاعل الهداية والنور للأمة، إلا أنهم سعوا للصنائع والاحتراف من أجل بناء المجتمع.

يقول الإمام القرطبي عند تفسير قول الله تعالى عن سيدنا داود عليه السلام: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ}: "هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ فِي اتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ وَالْأَسْبَابِ، وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ، لَا قَوْلُ الْجَهْلَةِ الْأَغْيِيَاءِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا شُرِعَ لِلضُّعْفَاءِ، فَالْسَّبَبُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ فَمَنْ طَعَنَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ طَعَنَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَسَبَ مَنْ ذَكَرْنَا إِلَى الضُّعْفِ وَعَدَمِ الْمِنَّةِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ نَبِيِّهِ دَاوُدَ أَنَّهُ كَانَ يَصْنَعُ الدَّرُوعَ، وَكَانَ أَيْضًا يَصْنَعُ الْخُوصَ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ، وَكَانَ آدَمُ حَرَّاثًا، وَنُوحٌ نَجَّارًا

وَلَقَمَانُ خَيَاطًا، وَطَالُوتُ دَبَاغًا، وَقِيلَ: سَقَاءٌ، فَالصَّنْعَةُ يَكْفُ بِهَا الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ عَنِ النَّاسِ، وَيَدْفَعُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ الضَّرَرَ وَالْبَأْسَ. وَفِي الْحَدِيثِ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرَفَ". أ.هـ (تفسير القرطبي).
والحديثُ عندَ الطبرانيِّ بسندٍ ضعيفٍ.

لذلك كان سيدنا عمرُ بنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه يهتمُّ بالصنائع والحرفِ ويرغبُ فيها فيقولُ: " ما من موضعٍ يأتيني الموتُ فيه أحبُّ إليَّ من موطنٍ أتسوقُ فيه لأهلي أبيعُ وأشتري، وكان إذا رأى فتىً أعجبه حاله، سألَ عنه: هل له من حرفةٍ؟ فإن قيلَ: لا. سقطَ من عينيه. وكان إذا مُدِحَ بحضرته أحدٌ سألَ عنه: هل له من عملٍ؟ فإن قيلَ: نعم. قال: إنه يستحقُّ المدحَ. وإن قالوا: لا. قال: ليس بذلك. وكان كلما مرَّ برجلٍ جالسٍ في الشارعِ أمامَ بيتهِ لا عملَ له أخذهُ وضربهُ بالدرّةِ وساقهُ إلى العملِ وهو يقولُ: إنَّ اللهَ يكرهُ الرجلَ الفارغَ لا في عملِ الدنيا ولا في عملِ الآخرة. وكان يقولُ أيضًا: مكسبةٌ في دناءةٍ خيرٌ من سؤالِ الناسِ، وإنَّ اللهَ خلقَ الأيديَ لتعملَ فإن لم تجدْ في الطاعةِ عملاً وجدتْ في المعصيةِ أعمالاً". (إحياء علوم الدين - الإمام الغزالي).

وهكذا يجبُ على كلِّ فردٍ من أفرادِ الأمةِ أن يكونَ له مهنةٌ أو حرفةٌ أو وظيفةٌ أو صنعةٌ يتكسبُ منها من ناحيةٍ، ويبني بها مجتمعهُ من ناحيةٍ أخرى، **أسوةً بالأنبياءِ أسوةً بالأنبياءِ** عليهم **السلامُ**،
والصالحينِ رضي **اللهُ** عنهم أجمعين .

ثالثاً: إتقان الصنائع بين الواقع والمأمول

إنَّ هناك انفصامًا وانفصالًا كبيرًا بين الواقعِ والمأمولِ في إتقانِ الصنائعِ والحرفِ، فتجدُ أنَّ الفردَ يعملُ بجدٍ وإخلاصٍ وجودةٍ وإتقانٍ إذا كان يعملُ لنفسه، أمّا إذا كان يعملُ في شركةٍ أو وظيفةٍ أو مؤسسةٍ أو وزارةٍ فإنه لا يبالي بعمله، وإنَّ شغلَهُ الشاغِلَ التوقيعُ في دفترِ الحضورِ والانصرافِ (شاهدُ الزور)، ولا يهتمُّ بعدَ ذلك جودةً أو خدمةً أو إتقانَ صناعةٍ أو قيامَ مجتمعٍ أو سقوطه أو مراقبةً أو غيرَ ذلك!!!
وأسوقُ لكم قصةً واقعيةً تدلُّ على ذلك: يُروى أنَّ هناك رجلاً بناءً يعملُ في إحدى الشركاتِ لسنواتٍ طويلةٍ، فبلغَ به العمرُ وأرادَ أن يقدمَ استقالتهُ ليتفرغَ لعائلتهِ، فقالَ له رئيسُهُ: سوفَ أقبلُ استقالتكَ بشرطٍ أن تبني منزلاً أخيراً؛ فقبلَ البناءَ العرضَ، وأسرعَ في تخليصِ المنزلِ ((دونَ تركيزٍ وإتقانٍ))، ثم سلّمَ مفاتيحهَ لرئيسِهِ، فابتسمَ رئيسُهُ وقالَ له: هذا المنزلُ هديةٌ مني لك بمناسبةِ نهايةِ خدمتكَ للشركةِ طولَ السنواتِ الماضيةِ، فصدّمَ رجلُ البناءِ، وندمَ بشدةٍ أنَّه لم يتقنَ بناءَ منزلِ العمرِ!!

أقولُ: لماذا ترضى للآخرينَ ما لا ترضاهُ لنفسك؟! لماذا تهتمُّ بعملك الخاصِّ ونفعه خاصُّ غير متعدِّ، ولا تهتمُّ بأعمالِ الآخرينَ والوظائفِ العامةِ ونفعها يعمُّ الآخرين؟! فاللهُ غنيٌّ عن أعمالك وعبادتكِ وليس بحاجةٍ إليها، فأنتَ الذي بحاجةٍ إليها وإلى أجرها العظيمِ.. وكلُّ عملٍ تقدّمه خيراً أو شراً مُتقناً أو غير متقنٍ- فهو لك.

فراقبوا ربكم في أعمالكم، راقبوا اللهَ في وظائفكم، راقبوا اللهَ في صناعتكم وحرّفكم، إنَّكم إن فعلتم ذلك عاشَ الجميعُ في سعادةٍ ورخاءٍ، وإلا عمَّ القحطُ والجذبُ والفقْرُ البلادَ والعبادَ.

